(٥) ويجب أن ينأى عن عالم الصعلكة هذا ما نسب إلى امرىء القيس ابن حجر من صعلكة إلا أن تكون صعلكه أمراء لا تنضوى تحت فكرة هذه الطائفة أو فنها ، فشتان بين مسلك (الملك الضِلّيل) وقد آثر الهيام على وجهه فى جوف الصحراء مع رفاقه وفتياته وبين فقراء العصر الذين شقوا عصا الطاعة ، وانقسموا على الجماعة بحثا عن مقومات الحياة قهراً .

أما أبيات امرىء القيس حول تشبهه بالذئب ضمن معلقته فهى موضع شك وشبهة انتحال ، وإن ثبتت نسبتها فما نحسبها تتجاوز حد اعتبارها مجرد صورة تشبيهية لا ترقى بالشاعر إلى حد الانتماء إلى طائفة الصعاليك فى الحدود الاصطلاحية المتعارف عليها .

(٦) ولكنَّ صعلوكاً صَحيفةُ وَجْهِه كضَوْءِ شِهاب القَابس المُتَنوِّر
مُطِلاً على أعدائه يزجُرونه بساحَتهم زَجْر المَنيحِ المُشَهَّر
إذا بعدُوا لا يأمَنُونَ اقترابَهُ تَشَوُّفَ أَهْل الغَائِبِ المُتَنَظِّر
فذلك إنْ يَلْقَ المنيَّةَ يَلْقَهَا حَميداً وإنْ يَسْتَغْنِ يَوْماً فأَجْدِرِ

فى مقابل صورة الصعلوك الخامل التى يراه فيها عروة :

لحىَ اللهُ صُعلوكًا إذا جُنَّ ليلهُ مضَى فى المشاش آلفاً كلَّ مجزر
يَعُدُّ الغِنَى من نفسه كلَّ ليلةٍ أصابَ قِراها من صَديقٍ مُيَسَّر
ينامُ عِشاءً ثم يُصْبِحُ ظَاوياً يحثُّ الحَصَى عن جَنْبه المُتَعفِّر
قليلُ التماس الزَّاد إلا لنَفْسِه إذاَ هو أمْسَى كالعريش المُجَوَّر
يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ ويُمْسِى لِحَلْيًا كالبَعيرِ المُحَسَّر

(٧) ويبدو شعر الصعاليك من هذه الزاوية أشبه بالشعر الحربى الذى عرفناه فى عصر صدر الإسلام ، سواء منه شعر المغازى الإسلامية أو شعر الفتوحات الإسلامية ، وما عرف به شعراؤه من منطق الارتجال وشيوع